ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

للاستاذ حبيب الزحلاوي

كتب التاريخ طافحة بأخبار المستعمرين الطغاة ، وأزعم أن ليس بين الحكومات المستعمرة كالحكومة الفرنسية التي حاولت بكافة وسائلها الجائرة إماتة السوريين فأحيتهم ، وإحياء اللبنانيين فأضلتهم .

قل من الناس من يجهل كيف فرضت فرنسا انتدابها على سورية فرضا ، وكيف انقضت عليها بجحافلها فاجتاحتها اجتياحاً ، وكم عانت في إخماد الثورات الدامية التي أشعلها أبناء سورية الأشاوس ، وكم تحملت البلاد من ويلات ونكبات من جراء تلك الثورات التي لم تخمد نارها إلا بعد ما انكشح آخر جندي فرنسي عن البلاد . ولكن قل من يذكر ايضاً أن فرنسا لما ايقنت أنها مجبرة على ترك البلاد الشامية نهائياً ، وأن صلابة الشعب السوري واستماتته في دفع بلاء الانتداب عنه قد أصابا في صميم كبريائها الاستعماري ، وان الخيرات والأسلاب وما استنزفته من دماء السوريين ، لا يساوي الجزء الواحد من ألف الجزء الذي انفقته فرنسا المسيحية خلال عشرات السنين ، اقول لما أيقنت حكومة فرنسا أنها مرغمة على الخروج من سورية وأنه لم يعد لها ثمة سبيل إلا سبيل الانتقام ، عندها أوعزت إلى طائراتها أن تفرغ قنابلها المحرقة ، وتصب حممها المشتعلة ، على قلب دمشق ، فسرعان ماقامت الحرائق ، وشبت النار كأنها تزغرد فرحا بارتحال الفرنسيين وما عتمت تلك الحرائق أن انطفأت بعد أن التهمت حيزا واسعا من دور قائمة في قلب المدينة

بهذه الحرائق شفت فرنسا غليلها من السوريين ، وبهذه الحرائق أثلجت صدرها المحترق من أموية السوريين

لم يبك السوريون ديارهم المحترقة ، ولم يندبوا تراث الآباء وآثار الأجداد ، بل قاموا قومة رجل واحد ، قومة دمشقية مبعثها العقل والجد والحب والاخلاص ، فطهروا الأرض من الانقاض ، وأسسوا الأسس القويمة لمدينة جديدة ، كأن مطران رحمه الله عناها بقوله :

بنوها فأعلوها فما هي غير أن
جرت أحرف مرسومة فوق قرطاس
بدت إرم ذات العماد كأنها
من القاع شدتها النجوم بأمراس

في قلب المدينة الجديدة ضللت الطريق ، وأي دمشق مغترب مثلي لا يضل السبيل في دمشق الجديدة ؟ هل أحرق الفرنسيون أحياء المدينة كلها فقام الدمشقيون قومة رجل جبار يبني ما انهدم ويشيد ما احترق؟ من حدود الميدان ، مسقط رأسي إلى قمة جبل قيسون ، ومن مدخل دمشق حتى الباب الشرقي فالقصاع ، دارات تنشق عن أكمامها ، ودور تناطح السحاب . كيف لا أضل الطريق وقد قامت قيامة الدماشقة على الهدم والبناء ؟ طي القديم من كل شيء ونشر الجديد المعتدل من المدنية العصرية ، سفور عن جمال بلا تبرج ، وفتنة في دمشقيات ، لا من باب البرير ولا من باب الجابية ، بل من كل حي من أحياء المدينة الحافلة بمدارس تضم الطالبات والطلاب ، وبكل سوق للتجارة والحدائق والمتنزهات ودمشقة في الرجال قضت المدنية الحديثة على أكثر لحاهم وعمائمهم المطرزة

أبرز مظاهر الحياة في سورية المدارس ، والعمران ، والمصانع ، في الجامعة السوريه آلاف من الطلبة تخرج منهم في العام المنصرم (١٧٣) حقوقيا وخمسة وعشرون طبيباً واثنا عشر صيدليا وخمسة عشر مهندسا وطبيبا واحداً للاسنان وستة في العلوم واثنان وخمسون في الآداب وخمسة وعشرون من المعلمين في المعهد العالي

عرفت أن سبب اقبال الطلاب على دراسة الحقوق مرده إلى أمرين اثنين ، الأول أنفة الشباب من أولئك المتكالبين المتهالكين على مقاعد النيابة ومكاتب الحكومة ، والثاني إقدامهم على اقتحام مضمار التجارة بسلاح من علم الاقتصاد

من يزر مصانع دمشق لنسج القطن والحرير الصناعي والكتان والسكر والزيت والصابون والزجاج والأسمنت ومعامل التقطير وتوليد الكهرباء وسواها لانبهره الأبنية الحديثة على النسق الأمريكي ولا الآلات الجديدة التي تدور بلا انقطاع ليل نهار يتناوبها ثلاثة

وهو يخالف ، وتعريضه بشرفه وهو لا يخشى على شرفه من الهوان ؟!

لقد عشت حتى رأيت . . رأيت الخيال يتحول إلى واقع ، والباطل ينقلب إلى حق ، والظن يصبح في يد المتألمين وهو حقيقة !

أ . م

أفواج من العمال والنظار والمهندسين ، ولا العدد الوفير من الانتاج الذى يذوب بين أيدى صغار التجار، بل تبهره إدارة حازمة نزيهة عادلة تتولاها شبيبة سورية تملأ العين والقلب والعقل

لازمنى فى طواف مصانع الشركة الخماسية فى «القابون» شاب توهمت انه أحد المهندسين أو الكتاب الاداريين ، وأخذ يحدثنى حديث العارف المتمكن ، قال ، لم يعاوننا فى تشييد هذا البناء وتركيب الآلات وإدارتها بانتظام كما ترى سوى مهندسين اثنين من الأمريكان ، واحد للبناء والثانى للكهرباء ، أما بقية الأيدى العاملة فكلها سورية فلسطينية ، وللفلسطينيين عندنا العمل المضمون والمقام المشمول بالعطف، لأن شيطان الأطماع الاقتصادية أخرجه من دياره . وإن الاقطان التى ننسجها انما هى أقطان مزروعة فى أرض سورية ، وان ما ينقصنا من القطن نشتريه من تركيا لقربها منا

كان يسهب فى الايضاح والتبسيط ، وكنت أنتبه إلى أقواله كانتباهى إلى درس قيم يلقيه أستاذ متمكن ، ولم أقف منه سوى وقفة واحدة للسؤال عن كلمة واحدة لم أدرك معناها وهى شركة «مغفلة» وهل النون ساكنة أم مشددة ؟

استعان محدثى الظريف — وقد اصطبغ وجهه بالحمرة — بالموظف المنتدب من وزارة التجارة والاقتصاد لمرافقة المغتربين فقال هذا « إن الشركة الخماسية هى ذات أسهم لا تطرح فى البورصة بل تبقى فى أيدى أصحابها فقط ، والاغفال لا يعنى الترك أو الاهمال ولا الغفلة ايضا، وأن مجمعنا العلمى هو الذى أوجد هذه الكلمة للتمييز بين الشركة المساهمة الموزعة اسهمها بين أيدى الناس وبين الشركة الساهمة التى لا يجوز أن تنقل اسهمها إلى غير أيدى مؤسسى الشركة » قلت أى كلمة تقابلها بالافرنسية قال « انونيم » قلت لا مساهمة » إذن

لم يكن محدثى الشاب اللبق المهذب وقد لازمنى حوالى ساعتين ، أقول لم يكن مهندسا ولا كاتبا من كتاب الشركة بل كان واحدا من الخمسة رجال المالكين لهذه الشركة ورأسمالها عشرة ملايين من الليرات

لم أستشهد بهذه الزيارة لهذه المؤسسة الوطنية بالذات ، ولا بالحديث الممتع الذى سمعته من أحد أصحابها إلا للتدليل على روح النهضة الاقتصادية، وعلى الروح المعنوية التى تسود شباب البلاد. يضاف إلى ذلك روح التحدى التى ستقنع الطامعين وتفهمهم بأن الأمة السورية قادرة على مجاراة الغرب فى نهضته الاقتصادية والثقافية ، وأنها ستجاريه أيضا فى نهضته العلمية ، وان السورى سيبز الفرنسوى ولا يستكين مثله إذا نكبته النكبات . ولا يفوتنى أن أقول إن المدارس الفرنسوية ، والارساليات الدينية والعلمانية تقوم بدعوتها الثقافية خير قيام ، وان رجالها يعلمون جيداً أن فى النشء السورى مناعة تقيهم سموم الغربيين وقد اكتووا بنارهم ووعوا الغاية من مدارسهم وارساليتهم

أعود الآن إلى الكلام الذى افتتحت به مقالى وهو كيف حاولت فرنسا إماتة السوريين فأحيتهم ، وإحياء اللبنانيين فأضلتهم وموعدنا العدد المقبل

حبيب الزحلاوى

دفاع عن البلاغة

للاستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة، وحد البلاغة والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد